المَحجَّة الواضحة والإيصالِ إلى المطلوب، واستعار الهيئةَ الموضوعة الثانية للأُولى، ثم إنه غايَر في هذه الصفة ما قبلها، فترك العاطفَ إما لأنَّها مُستأنَفةٌ للبيان قصَد بها تعليلَ الجُمَل المتقدِّمة، أو لأنها أعظمُ الصفات، فكأنَّها لعِظَمِها لا تُشارِك ما قبلها، وأتى بالمضارع المفيد في الإثبات الاستمرارَ التجدُّديَّ إشارةً إلى أن عمومَ نفعِه وشمولَ هدايته مُستمِرٌّ دائما، يتجدَّد ويحدُث وقتًا فوقتًا، بتجدُّد الحوادث والوقائع إلى آخر دار التكليف، والله أعلم.

[معنى القلب]

(و)يملأ الفقهُ (القُلوبَ)، جمعُ قَلْب، وهو الفُؤاد، أو المُضْغة في الفؤاد المعلَّقة بالنياط، فهو أخصُّ منه، أو القلبُ نفسُه[1]، أو الفؤاد غشاؤُه[2]، فهو مُباينٌ.

ومحلُّ الفؤاد الجانبُ الأَيسر، وهو محلُّ العُلوم والقُوى المُدرِكة، لا الدماغ على الصحيح.

والصحيحُ أنه سِرٌّ لطيفٌ، به يُدرَك الإدراكُ، ويُعبَّر عنه بهذه الجارحة تقريبًا، وهو المعبَّر عنه بالنفس الناطقة والنفس الإنسانية، وهو المُدرِك للكُلِّيات والجُزئيات عندنا.

وقد اتفق المِلِّيُّون على أن كمالَ النفس الناطقة بكمالِ قُوَّتِها العلمية والعملية، وكمال الأُولى: معرفةُ حقائق الأشياء على ما هي عليه، وكمالُ الثانية: القيامُ بالأمور على ما ينبغي؛ تحصيلا لسَعادة الدارَين.

والفقه اسمٌ للعلم والعمل؛ لأنه ثلاثةُ أقسام، كما في «شرح البزدوي»: «علمُ

---

(١) أي: نفس الفؤاد.

(٢) أي: غشاء القلب.

المشروع نفسه، والثاني: إتقانُ المعرفة به، وهي معرفةُ النصوص بمعانيها وضبطُ الأصول بفروعها، والثالث: العمل به حتى لا يصيرَ نفسُ العلم مقصودًا، فإذا تمَّتْ هذه الثلاثة لأحد كان فقيها»[1]، انتهى.

فبعد تحلية النفس بهذه الكمالات لا ريبَ أنه يحيطُ ويَملاؤها (سُرورًا)، أي: فرَحًا وانبساطا. ومُناسِبٌ أن تتعلَّق الفقرةُ الأُولى بالقوَّة النظَرية؛ لأن مبدأَها إدراكُ الحواسِّ، وهذه بالقُوَّتَين.

(و)يملأ (الصُّدورَ)، جمعُ صَدْر، وهو «مُقدَّمُ كلِّ شيءٍ وأوَّلُه، وكلُّ ما واجَهك»، كما في «القاموس»[2].

(انشراحًا)، أي: اتِّساعًا، واتساعُها كنايةٌ عن قَبولها العلمَ والعمل.

وأصلُ الشَّرْح بَسْطُ اللحم ونحوه، ومنه: شرحُ الصدر، أي: بسطُه بنورٍ إلهيٍّ. وقيل: معناه التوسعة مطلقًا، ويُقابله الضِّيق؛ قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والمرادُ بالصدر القلب، تسميةً للحالِّ بالمحلِّ.

وفُسِّر شرحُ الصدر في آية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح: ١] بتوسُّعه بما أُودِع فيه من العلم والحكمة، وقيل: ملأه حُكمًا وعِلمًا، والحُكم: الفقه أو القضاء بالعدل، وملؤُه مجازٌ عن عدم سعةِ شيءٍ غيره، أو عن كثرته. وقيل: إنه جُعل على صورة جسم ثم مُلِئ به، فهو حقيقةٌ، وبعضُ أهل البصيرة يرى الإيمانَ والعلم مجسمًا، ولا يخفى أن هذه المعاني مُمكنةٌ هنا.

---

(١) كذا في «أصول البزدوي». انظر: «أصول البزدوي» مع «كشف الأسرار»، العلم نوعان (١/ ١٢).

(٢) «القاموس المحيط»، باب الراء، فصل الصاد (ص ٤٢٣).